مداخلات عن (حزن الثقافة المرير) 1-5

الثقافة مطالبة بكشف معاناة الناس

نجيب محي الدين

أشعر بالسرور والغبطة لإتاحة الفرصة لي لحضور هذا اللقاء الذي يُنظمه القسم الثقافي في صحيفة (المدى) لمناقشة الموضوع الذي أعده الأستاذ الشاعر ياسين طه حافظ حول حزن الثقافة المرير وهو موضوع يستحق الاهتمام وإجراء النقاش حوله، ولذلك وجب التعبير عن الشكر والتقدير للأستاذ ياسين لما بذله من جهد فكري وبدني في إعداده له وكذلك لصحيفة (المدى) ولقسمها الثقافي بصورة خاصة لاهتمامها به وإعدادها هذه الطاولة من أجله.

تتجلى أهمية هذا البحث في ما تناوله من محاولات لتشخيص واقع مسيرتنا الثقافية واتجاهاتها وما كان لها ولا يزال من آثار على مسيرتنا السياسية وعلى عَلاقات الكيانات السياسية ببعضها.انه بحث وإن كان يبدو أن موضوعه ثقافي مجردٌ ولكنه تجاوز ذلك ليصل الى حافات السياسة ، بل لقد وصل في بعض الحالات الى صميمها عند الإشارة الى بعض مواقف الأحزاب عموماً واحترابها مع بعضها إزاء بعض أو إزاء معظم الأحداث التي واجهتها البلاد، مُشخصاً سبب ذلك الى قصور ثقافي يغلب عليه التعصب وضيق الأفق الفكري لدى قادة معظم الأحزاب السياسية . وتعبر مبادرته للدعوة الى مراجعة المسلمات خطوة جريئة صائبة على الطريق الصحيح .

اسمحوا لي أن أعرف الأستاذ ياسين كما عرفته منذ أكثر من خمسين عاماً ، لمن قد لا يعرفه جيداً ، عرفته وقد كان شاباً متميزا بما يبديه من إخلاص وحرص على أداء واجباته وعلى السعي من أجل التزود بالمعرفة والمعلومة النافعة والاستزادة والانتفاع منهما ، دقيقاً في ما يتكلم ويبحث ويكتب ، وقد لازمته هذه الصفات التي بقيت أتلمسها في كل ما أتيح لي من قراءات لإنتاجاته الفكرية حتى الآن ، كما عرفته في ذلك الوقت شاعرا ناشئا .

لدي بعض الملاحظات والتعقيبات حول ما قدمه من آراء وأفكار في بحثه هذا ، ومع ذلك تظل للبحث أهميته الكبيرة وجدارته بالتقدير.

أولاً- جاء في أسفل الصفحة الأولى من الموضوع ما يأتي " كنا في الخمسينيات نطالب الثقافة بنشر الوعي الثوري والتحريض على الثورة، أنا لا أعتقد بسلامة المطلب الخمسيني اليوم ." انتهى قوله دون أن يشير إلى ما يجب أن نطالب به الثقافة اليوم . إن قوله صحيح وأنا أتفق وإياه بأنه لا يمكن أن تُطالب الثقافة الآن بمثل ما كانت تُطالب به في تلك الفترة الزمنية المشار إليها ، إلا أنني أرى أنها – الثقافة – تظل مُطالبة بكشف معاناة الناس وأسبابها والمسؤولين عنها ، كما يُؤمل منها أن تدلهم على الطرق الصائبة السالكة وعلى أساليب العمل العملية لتوصلهم الى تحقيق غاياتهم المشروعة التي أساسها الحقوق الإنسانية ، بأساليب عمل سلمية بعيدة عن أساليب القسر والعنف والتخريب . وبهذا يرى البعض " أنَ الثقافة لا تقتصر على إنتاج النصوص الجمالية أدباً أو فناً، بل هي آلية إنتاج معنى وتشكيل أنساق أداء مجتمعي".

ثانياً- جاء في الصفحة الثانية ما نصه "إن الثورات لن تندلع بعد بسبب ضائقة اقتصادية ." وأنا اعتقد أن الضائقة الاقتصادية تظل من أهم الأسباب او العوامل التي تدفع الناس إلى التذمر أولاً ثم التمرد أو الانتفاضة وأخيراً الثورة. هذا دون أن انفي وجود عوامل أخرى مهمة ايضا هي الشعور بالظلم بسبب انعدام تحقيق العدالة الاجتماعية في جميع مجالاتها ومستوياتها في الحياة بين أفراد المجتمع وحرمانهم من التمتع بالحرية . كما لا يمكن إغفال دور عوامل تحريضية مساعدة داخلية أو خارجية ..! وكل هذه العوامل وفي مقدمتها الضائقة الاقتصادية هي التي أدت الى ما شهدناه ونشهده من حركات الاعتصامات التي اجتاحت بعض البلدان العربية خلال الأشهر الأخيرة .

ثالثاً- وفي منتصف الصفحة الثانية نفسها جاء فيها " انتهى أو كاد ، هنا دور الثقافة في نشر الوعي والإثارة ." وأنا لا أعتقد ذلك ، فحركات الاعتصامات والاحتجاجات التي أشرتُ إليها في الفقرة السابقة والثورة في ليبيا لم تكن بمعزل عن التأثر بالجهود الثقافية التي بُذلت على مدى أعوام عدة لتكونَ رأياً عاماً رافضاً لسوء الأوضاع في بلاده وطامحاً للتحول نحو الأفضل.

رابعاً- يكتب الأستاذ ياسين في الصفحة التاسعة ما يأتي " أنَ الثقافة صارت تؤدي دوراً نمطياً لا عملاً تنويرياً مُغيراً ، وهي غير معنيةٍ باستكمال الحقوق المدنية في الديمقراطية وحقوق المرأة وتوزيع الثروة إلا من بعيد ." أعتقد أنا أن هذا الحكم فيه تعميم يتضمن إغفالاً أو قسوةً على كثير من المثقفين في العراق وفي البلدان العربية الذين واصلوا ويواصلون عملهم التنويري من اجل التغيير لأحوال شعوبهم الى الأفضل في مجالات الحقوق المدنية التي أشار إليها في الديمقراطية وحقوق المرأة وتوزيع الثروة وغيرها من الحقوق الإنسانية ، وتحملوا من اجل ذلك تضحيات لا يستهان بها من إقصاء واضطهاد وغيرها من أساليب الضغط وصولاً الى الاغتيال ..ولن تغيب عن ذاكرتنا مثلا أسماء ستظل خالدةً في سجل المثقفين العاملين في مجالات الدعوة للتنوير والتغيير وحرية التعبير مثل فرج فودة في مصر وقاسم عجام وكامل شياع وهادي المهدي في العراق، وغيرهم ممن لا تحضر أسماؤهم ذاكرتي الآن . والى جانب ذلك لابد من الاعتراف بوجود نشاط ثقافي وسياسي يُمارس عملا مضادا ومتصاعدا إزاء العمل الثقافي التنويري والتغييري الذي كان قد بلادنا وما تعانيه ثقافتنا ومدى القصور فيها .

لقد كان الأستاذ ياسين موفقا في تشخيص مواضع الضعف ودقيقا في توصيف حالاتها وموضوعيا في أسلوب عرضه لها ، كل ذلك بروح وطنية حريصة على العراق ومخلصة له ولشعبه وللثقافة فيه ، دون أن تفارقه الجرأة في كل إشارته الى الجوانب السلبية في مجتمعنا وثقافتنا، منطلقا في ذلك من إيمانه بأن لا وجود لمقدس ثابت لا يجوز الاقتراب أو النيل منه.

ومرة أخرى أعبر عن تقديري للأستاذ ياسين الحافظ ولجهوده الفكرية القيمة وكذلك التقدير لجهود صحيفة (المدى) وقسمها الثقافي، متمنياً مواصلتها بنجاح لمسيرتها في رعاية الثقافة والمثقفين .

× مداخلة للكاتب في طاولة المدى الثقافي عن (حزن الثقافة المرير)

من البرج العاجي

▪ فوزي كريم

النهاية

الوقوف على مشارف النهاية ليس مثيراً للذعر، إذا ما كانت الإطلالة من نافذة فنية: لوحة، شاشة سينما، أو كتاب. الأمرُ خلاف ذلك سيكون خارج التصور، حتى داخل مخيلة جهنمية.

قبل أسبوعين زرت معرض الفنان الانكليزي جون مارتن (١٧٨٩-١٨٥٤)، وكتبت عنه. هذا الأسبوع شاهدت فيلماً جديداً للدنماركي Lars von Trier. وقرأت عرَضاً أخبار التبشيري (أو النذيري) المسيحي هارولد كامبنغ، الذي أخبر عن النهاية الوشيكة للعالم. في بحر عشرة أيام عشت في دائرة خيالية ليست من اختصاصي. كان فيها العالم لا يشبه سلحفاة بطيئة باتجاه البحر، بل قشة في ريح عاتية.

عنوان معرض جون مارتن Apocalypse، ويعني، في ما يعني، الرؤيا النذيرية بنهاية العالم، أو القيامة. لوحات جون مارتن وجدت في حينها، ومازالت، متعة في استثارة خيال الناس باتجاه الفزع من النهاية. انتفع من "كتاب الرؤيا" في الإنجيل، معززاً رؤيا يوحنا بقصص التاريخ المريعة عن نهاية بابل، وبركان بومبيْ، ولوحات القيامة الثلاث.

وبالرغم من أنني غير مُعجب تماماً بقدرات مارتن الفنية، ولا بتطرف مخيلته الشعبية، إلا أن نذيرية هذه المخيلة نثرت شيئاً من الرماد الخفي، غير الواعي، في داخلي، وفي داخل كثيرين، ممن لا يرون استحالة قاطعة لنهاية ما. أليس موت الفرد نهاية لا تقل وقعاً؟

سبق أن رأيت عدداً من أفلام الدنماركي لانرز فون تريير: "دوغفيل"، "البلهاء"، "انكسار الأمواج"، "عناصر الجريمة". وهذا فيلم جديد على الشاشة بعنوان مثير، وإعلان مثير. ذهبت إليه على عجل. الاسم "مِلانخوليا"، والإعلان عن نهاية العالم!

Melancholia تعني انحرافاً نفسياً باتجاه الحزن، أو "السوداء". والمخرج شاء أن يطلق هذا الاسم على كوكب لون فضيته تميل للزرقة، يظهر فجأة كبشير أول الأمر لشبهه بالأرض. البطلة "جوستين" في مشروع زفاف باتجاه قصر أختها الثرية مع عريسها. الحفل الباذخ يفشل بين يدي الجميع، والزواج يتحول إلى طلاق، تحت وقع خلافات الأب والأم. جوستين تفضل البقاء في بيت أختها كلير. تدخل مرحلة أسى يتحول إلى ملانخوليا. بين حين وآخر تتطلع إلى نجم بعينه، وجدته آسراً. سرعان ما يتلاشى وراء آخر، صار يتسع مع الأيام.

يتبين الجميع أن هذا النجم، شبيه الأرض يقترب، بالرغم من تفاؤل زوج كلير، أخت جوزفين. واتساعه يوسع من الهوة السوداء التي يوفرها في قلب المشاهدين، (هل كنت أحدهم؟). الفيلم يتجه نحو النهاية، فكلير تستعر خوفاً على ولها الصغير، وزوجها الذي يعترف بالحقيقة ينتحر، في حين تزداد جوستين هدوءاً، لا يختلف عن هدوء زرقة الكوكب المقترب. ثم يحدث التصادم، تحت وقع مؤثرات صوتية لا تُقاوم.

لم أرَ الفيلم رائعاً هو الآخر، شأن معرض مارتن. لا بسبب الخوف الأكيد، بالتأكيد. كان العزاء فيه هو استخدام موسيقى فاغنر الذي لم ينقطع، من مُفتتح أوبرا "تريستانو إيزولدة".

بعد الفيلم مباشرة، وأنا في طريقي إلى البيت، قرأت في صحيفة توزع مجاناً في الأندرغراون، أن الخطيب التبشيري هارولد كامبنغ، الذي يبلغ التسعين عاماً، دعي إلى الراديو للحديث بشأن نبوءته التي لم تتحقق. وفي الحديث اعتذر لجمهوره من أن نهاية العالم لم تتحقق في ٢١ من شهر مايس الماضي، كما تنبأ. هناك تأجيل رباني للحدث حتى ٢١ من هذا الشهر، أكتوبر.

لا أخفي عجبي من أن يترتب هذا المسلسل معي بهذا التناسق: أن تتوافق الرؤى الفنية، السينمائية، الدينية.

محطات

لوبيموف ومسرح تاكانغا

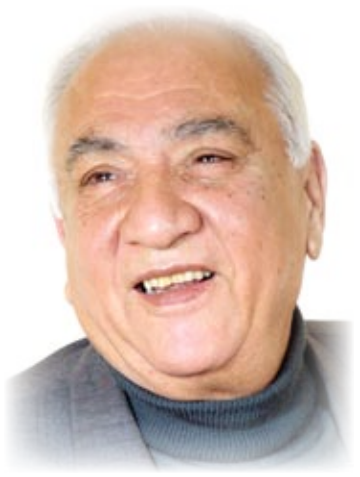

د.سامي عبد الحميد

قرأت المقالة التي نشرها الصديق (عبد الله حبة) وهو المغترب في روسيا عن مسرح التاكانغا الذي كان يقوده المخرج الروسي الطليعي البارز (يوري لوبيموف) والحق أن هذه المقالة لم تضف إلى معلوماتي جديدا سوى ترك ذلك المخرج المبدع لفرقته بعد سنوات طويلة من الابتكارات المسرحية التي تدرس اليوم في اغلب معاهد الفن المسرحي في العالم.

ولكن هذه المقالة ذكرتني بحدث مهم في حياتي الفنية ألا وهو مشاهدة عملين لذلك المخرج الفذ عند زيارتي موسكو عام ١٩٧٥ عندما حضرت مؤتمر المسرح العالمي.

وكنت بوقتها قد أخرجت لفرقة المسرح الفني الحديث مسرحية (هاملت عربيا) فرحت أقارن بين مقاربتي لمسرحية شكسبير الرائعة ومقاربة المخرج الروسي لذلك النص الشكسبيري الأكثر شهرة، فقد توجه المخرج الروسي برؤية جديدة لا علاقة لها بتقاليد المسرح الإليزابيثي ولا بالأعراف التي سار عليها المخرجون في القرون التالية، فقد لجأ الى المعاصرة من جهة، والى الاختزال من جهة أخرى.. معاصرة المسرح بدأت من ظهور (هاملت) بطل المسرحية وهو يحمل (غيتارا) يعزف عليه مقطعاً من حوارات هاملت مرتدياً ملابس قريبة من طراز العصر الحاضر تلك التي يرتديها الشباب الأوروبي بعد منتصف القرن العشرين، وراح ممثل دور هاملت يتصرف تصرفات شباب عصره وليس تصرفات المسرح التقليدي واختزالاً لم يستخدم (لوبيموف) ديكورات فخمة تمثل قلعة (السينور) الديناميكية القديمة، بل استخدم ستارة (خيش كبيرة) بطول وعرض الفضاء المسرحي وتتحرك بكل الاتجاهات الى الأمام والخلف والى اليمين واليسار وتدور حول نفسها، وما زلت أذكر المشهد الذي تتم فيه محاكمة الأمير هاملت من قبل عمه الملك المغتصب (بكسر الصاد) وأمه الخائنة التي اشتَركت في قتل زوجها هاملت الأب، وذلك بعد قتل هاملت الوزير (بولونيوس) فقد عهد المخرج إلى مد أربعة سيوف تخترق تلك الستارة بموازاة الأرض، ويأتي العم والأم ليجلسا بين تلك السيوف دلالة على أنهما لن يفلتا من العقاب.

وفي إخراجي للمسرحية نفسها أيضاً لجأت الى استحداث بيئة جديدة للعرض غير بيئة الدانيمارك القديمة بل بيئة سواحل الخليج العربي في المرحلة الأولى من القرن العشرين، حيث حدثت أحداث مشابهة للحدث الرهيب الذي افترضه شكسبير استناداً الى الصراع على السلطة وحيث يقتل الابن أباه أو الأخ أخاه.

لقد استخدمت السجاجيد والمفارش العربية كمفردات ديكورية واستخدم (الهاون) ضابطاً للإيقاع واستخدمت أغاني البحر خلفية صوتية لأحداث.

وهكذا مثلما تصرف (لوبيموف) بنص شكسبير ولم يسيء إليه، فعلتها أنا.

وهنا لابد من أن أذكر أن أكثر الأعمال شهرة لذلك المخرج الروسي مسرحية (عشرة أيام هزت العالم) التي أعدها من نص أدبي للكاتب الشهير (ايكيا اهرنبورغ) ولم يشر إليها الصديق عبد الله حسين في مقالته.

نافذة ضوء

الشاعر إبراهيم الخياط.. حزمة من الأسئلة في قبضة شاعر

محمود النمر

شاعر يحلم بجمهورية البرتقال ، دفع الثمن غاليا نتيجة هذا الحلم ولكنه مازال مصرا على تحقيقه ، رغم كل الخسارات ،الشاعر نافذته تتسع لاحتواء العالم ، انه الشاعر إبراهيم الخياط.

× كيف يراودك الأمل؟

– أنا تراودني فكرة لأكثر من أربع أو خمس سنوات، وهي كانت مسيطرة عليّ منذ بداية عام ٢٠٠٣ قصيدة في انتظار البرابرة، ومدى وملائمة هذه القصيدة وعنوانها مع الوضع في العراق والقوات الأميركية التي ستأتي عبر البحار ومن ثم إلى الكويت وفتح الأسلاك الشائكة، والآن بعد أن أتوا هل هم برابرة؟ هل كانوا محتلين؟ هل كانوا من المحتلين المرحين؟ هل هذا انسحاب؟ هل هو جلاء؟ أين هي المقاومة؟ الشكل الفيتنامي في العراق، هل هو موجود؟ كيف تشكلت الحكومة؟ الحكومة التي تألأ فيها الوزراء الشيوعيون، وبريمر هو الحاكم المدني؟ هل البرابرة كانوا تحت أبط القادمين من البحر؟ وأقصد ذوو اللحى والدشاديش القصار ،أم هم بقايا البعثيين، وأضعهم بين عشرين قوسا الذين هم نقيض الدشاديش واللحى ،لكنهم يحملون فكراً أكثر ظلامية وقمعا وإقصاء من هؤلاء ،ثم كيف يمكن لهذا التناقض الغريب العجيب ، أن يكون قصيدة بسيطة ، وتصل مثلا إلى أمي وما أدراك ما أمي ،هي ستفهم هذه القصيدة ؟ وكيف سأكتب هذه القصيدة ؟ هذه الفكرة رغم الأعباء الإعلامية والإدارية والحياتية والبيتية والراتب والبطاقة التموينية والنقل والزحامات والموائد العامرة والفارغة والليالي التي أنام فيها ،والتي لا أنام فيها ،والتي تؤرقني والتي تخاصمني ،رغم كل هذه الأعباء التي لا ينهض بها جمل، فكيف ينهض بها لا أقول إبراهيم ،ولكن كيف ينهض بها إنسان عراقي؟ ثم يكون هذا الإنسان مشروعا لكتابة أجمل موهبة وهي موهبة الشعر ،أجمل موهبة لستُ لأني احترفها ،ولكن يقولون إن الشعر كلام الله ،والنثر والسرد كلام الخلق ،ثم في هذه المعمعة التي نعيشها في هذا الهم اليومي والهم الإبداعي ،هل ستأتي القصيدة ؟ أم فقط أتحمل أعباء القصيدة وبعد ذلك حتى لا أتمكن من كتابتها، والأمر الآخر نحن على أبواب ١/ ١/ ٢٠١٢ اليوم الذي لا يكون فيه الأميركيون على الأرض العراقية ، ولكن هل سيغادرون السماء العراقية ؟ ثم هل سيغادرون الذاكرة العراقية ؟ هل نستطيع أن نمحي آثار الإخوة الذين أتونا من خلف البحار وفي لحظة زمنية اتفقت المصالح الأميركية العليا مع مصلحة الشعب العراقي في إسقاط العدو المشترك ،ولكن هذه اللحظة لم تستمر حتى الساعة ، انتهت مع لحظة السقوط ،فهذه اللحظة ،هي لحظة شعرية ، قد تكون هي البهجة الشعرية التي يقول عنها فوزي كريم .

× هل لديك مجموعة شعرية جاهزة للطبع ؟

– نعم هناك قصائد ما تكفي إصدار مجموعة ،ولكن المجموعة تحتاج الى من يدعمها وهي تتشابه مع الأغنية العراقية التي جسدها الكبير يوسف العاني في مسرحية " المفتاح " الديوان يحتاج إلى تفرغ ،التفرغ يحتاج إلى مال ، المال يحتاج إلى الدعم ، الدعم يحتاج إلى محبة من الدولة للناس ، والمحبة تحتاج الى مبدعين ، وحين يتهرأ أي خيط من هذه الخيوط ،تنتهي وأصل الى الخطوة الأولى ،وأبقى أتوسد المخطوطة بانتظار المجلس الأعلى للثقافة ،الذي أدعو انا مثل الكثير من المثقفين إلى تشكيله لأن مشكلة وزارة الثقافة ليست مشكلة مالية ،ولكنها لا تمتلك إستراتيجية ثقافية ،ليست لديها رؤية ثقافية ، فنتمنى على المجلس أن يتبنى المجموعة الشعرية التي تحت وسادتي .